التوطين والمواطنة في مصر الإسلامية
(فجر الإسلام)

أ.د. محمد أحمد محمد أحمد بديوي*

الملخص:

تجلت حقوق المواطنة في وثيقة الصلح التي عقدها القائد العربي عمرو بن العاص حين فتح بابليون وباتت هذه الحقوق نتيجة طبيعية للتوطين العربي الذي استهدف مصر تبعاً للسياسة العربية التي أقرها الخليفة العربي في عاصمته.

أخذت المواطنة أشكالها تدريجياً مؤيدة باستقرار العرب، ففي بداية العصر الإسلامي أخذ المصطلح ينمو في أبعاده ومظاهره بما يعكس سياسة الدولة الإسلامية خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولي ، ففي القرن الهجري الأول تجلت المواطنة بعد توطين العرب في الفسطاط بما ينطوي علي الانغلاق بعيداً عن مواطن القبط، وفي القرن الهجري الثاني شهدت المواطنة حراكاً معبرة عن تقارب قبطي ، حيث تبادلوا المنافع بعد توطين العرب بجوار القبط ، وأدي هذا التطور إلي نشاط واسع بين العرب والقبط ، وفي القرن الثالث الهجري تبني العرب في مصر سياسة عربية سنة ٢١٨ هـ ، حيث قرر الخليفة المعتصم اعتماده علي الأتراك بدلاً من العرب ، وفقد العرب عطاءهم وإمتيازاتهم فتغلغلوا في كل المدن وأرياف البلاد المصرية سعياً وراء حياة يؤيدها ويرحب بها الأقباط ، ذلك هو التطور النهائي لحدوث المساواة بين العنصرين العرب والقبط ، وسرعان ما أصبحت مصر بلداً لكليهما ، وصار هذا بالاستقرار الجديد للعرب معبراً عن مصريتهم ، ومتمتعاً بحياة مدنية بعيداً عن حياة الجندية.

تجلت المواطنة في مصر بمظهرها الأخلاقي الذي تبني المساواة بين العرب والقبط طاعة لقوانين الدولة الإسلامية.

محتوي البحث

- **تمهيد .نظرة عامة:** حول حاجة المجتمع المصري لفكر المواطنة.
- **أولاً** : التوطين والمواطنة ؛ جذورها ومفاهيمها.

* أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب - جامعة أسيوط dr.mohamed_bedewy@yahoo.com

المنارة للاستشارات
www.mar

- **ثانياً:**تحول مصر البيزنطية إلي ولاية عربية وآثاره في بعث فكر المواطنة.
- **ثالثاً:** التوطين والمواطنة في مصرخلال القرن الأول الهجري.
- **رابعاً :** التوطين والمواطنة في مصر خلال القرن الثاني الهجري.
- **خامساً:** التوطين والمواطنة في مصر خلال القرن الثالث الهجري .

الكلمات الدالة :

التوطين ، المواطنة ، مصر الإسلامية

تمهيد:

نظرة عامة: حول حاجة المجتمع المصري لفكر المواطنة.

من شأن المتغيرات التي طرأت علي بلدان عالم العصور الوسطي منذ خروجه عن مؤثرات استراتيجيات الإمبراطوريات التوسعية واستقباله لنظم جديدة منطوية علي رغبة في قهر كل أنواع الاستبداد والظلم، أن تتوق إلي من يخرجها مما هي فيه من ظلم وجور، والدعوة إلي التماس صور الديمقراطية التي وجدوا ضالتهم في توفرها بعد ظهور الإسلام ، وشيوع تعاليمه هنا وهناك في نواحي المعمورة ، ومن ثم سعيهم الدءوب نحو الحياة الكريمة، ولعل النموذج الذي قدمه الفاتحون المسلمون في غير بلاد الإسلام منذ عهدالخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يعد أصدق تمثيل لتطبيق النظم والتشريعات بين أهالي البلاد المفتوحة الذين عاشوا كسكان أصليين مستقرين بتأثير العدالة والمساواة التي دخلت بلادهم – آنذاك – مصاحبة للعناصر العربية الوافدة الفاتحة ، وفي هذا الإطار يدور موضوعنا حول ما حمله الوافدون الفاتحون العرب من أدوات وسياسات عالجوا بها حياة المقيمين من الأقباط الذين قاسوا آلام القهر البيزنطي في مجالي الحياة العقدية والمالية.

سرعان ما وجدنا مقابلات بين بيئتين مختلفتين ، عربية عركتها حياة البداوة بنسبة كبيرة ، وقبطية أهلكتها معاول القهر والظلم البيزنطي ، ومقابلات أخري من حيث العنصر بين الوافد العربي والمقيم القبطي ، وكلاهما له أهدافه ومطالبه ، ويدور التصادم والجدل بين هاتين البيئتين باختلاط هذين العنصرين لينتهي الأمر بتثبيت من يعالج مشاكل الآخر في داخل وجود جديد يشهد علي خلق جديد بتأثير اندماج من ينتصر لنفسه في معالجة حياة الآخر وتأكيد ذاتيته بشيوع تعاليمه.

المنارة للاستشارات
www.mar

علي أن الذي يحدث الأثر لا يمكنه الوصول إلي ما وصل إليه بتحقيق أهدافه إلا إذا كانت تعاليمه مقبولة لدي البيئة المحتاجة ، والعنصر الأضعف الساعي نحو تعديل حياته القاسية بحياة كريمة ، وهكذا بقدر نجاح الفاتح لمصر في تطوير حياة الاقباط بقدر ما يكون صيرورة هذا الأخير آمنة مطمئنة بفضل الأثر الكبير الذي أحدثه اندماج الوافد المعالج للمقيم الساعي نحو الصحوة والنفع الوفير لنفسه.

في ضوء ما أسلفناه نري أن مساعي المقيمين في مصر نحو التماس أساليب ديمقراطية بديلاً عن قسوة الحياة الظالمة كان أمراً طبيعياً حينما التقوا بالعناصر الفاتحة، ولإيضاح مثل هذه الجزئية نستعرض في الصفحات التاليات ما سميناه في العنوان"التوطين والمواطنة في مصر فجر الإسلام " .

وكان من الطبيعي البحث في طرح مصطلحات مستمدة من قيم الإسلام يفترض في معانيها تحقيق التصور الكامل لكافة مظاهر الاستقرار لقبط مصر في ظل الحكم الإسلامي الطارئ عليها منذ سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠م وذلك افتراضاً من أن الإسلام قادر علي معالجة مشكلات حياة سكان مصر الأصليين في وقت كانوا فيه يتلمسون الأسباب من أجل الوصول إلي ذلك الهدف.

ندرك أن الحديث عن التوطين والمواطنة أمر فيه الفرضيات التي نجد لها في مبادئ الإسلام أصولاً جذرية تبعث علي حلول تعكس تواصلاً عبر مضي السنين لتطور حياة المصريين إلي المستوي الأمثل للحياة المستقرة .

ونشير إلي أن مصطلح توطين بوصفه متعارفاً عليه في القديم وكلمة مواطنة كمصطلح يراه البعض مستحدثاً يدفع بنا إلى تقصي الجذور التاريخية لهذين المصطلحين والبحث في إسقاطهما وتطبيقهما علي ما يقابلهما من أشكال وصوربدت جديدة بعد نزول العرب الفاتحين مصر وفسطاطها.

وتدور مشكلة الدراسة حول ما كان يدور من ضرورات في جعل مبادئ الإسلام ونظمه أساساً في حل المشكلات التي واجهها القبط خلال القرون الهجرية الثلاثة الأولي وهي الفترة الزمنية التي جعلناها لموضوع بحثنا الذي نركز فيه علي معاني التوطين والمواطنة وموقف الإسلام منهما، لتحقيق مبادئه.

المنارة للاستشارات
www.mar

هذا وسوف نتناول الوقائع التي صادفها المصريون في الفترة المبحوثة مع ربطها بالحوادث ذات الصلة بإرتباط مصر بأحداث الخلافة لنصل في النهاية إلي أن هذه الأخيرة تعد محور الارتكاز في التغيير وتعديل حياة المصريين والوصول إلي كلام يطمئن إليه القارئ والباحث من أن هناك توافقاً كبيراً بين ثوابت الإسلام الأصيلة والمتغيرات التي يصنعها الأقباط وغيرهم من عناصر أخري استوطنت مصر وفسطاطها ، وفي هذا الإطار تدور خطة البحث حول الجوانب التالية :

أولاً : نظرة عامة حول حاجة المجتمع المصري لفكر المواطنة .

ثانياً : تحديد المفاهيم .

ثالثاً : التوطين والمواطنة في مصر خلال القرن الأول الهجري.

رابعاً : التوطين والمواطنة في مصر خلال القرن الثاني الهجري.

خامساً : التوطين والمواطنة في مصر خلال القرن الثالث الهجري.

أولاً : التوطين والمواطنة ؛ جذورها ومفاهيمها

أ- التوطين من حيث معناه اللغوي :

مأخوذ من الوزن تفعيل، والفعل المشدد وطَّن فعَّل ، والمصدر توطين، وتوطين النفس، تمهيدها وتوطنها، والميطان بالكسر، الغاية، وموضع بوطن لترسل منه الخيل في السباق [١]، وواطنه علي الأمر بمعني وافقه[٢]؛ والقول بتوطين النفس بمعني أصل التوطين والتوطن، وانقاذ الوطن[٣]، وعند اللغويين اسم توطين، والمصدر وطنتوطين ووطن النفس علي الصبر حملها عليه بمعني ساعد علي توطين اللاجئين والمهاجرين ، وساعد علي إسكانهم وإقامتهم[٤]، وأوطن الأرض وأوطنتها توطينا، أي اتخذتها وطناً، ويتفق ابن

---

[١] الفيروزأبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط ، دار الجيل بيروت (د.ت) ، الجزء الرابع ، ص ٢٧٨ .

[٢] الفيروزأبادي: المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٢٧٨ .

[٣] الفيروزأبادي: المصدر السابق، ج٤ ، ص ٢٧٨ .

[٤] راجع تعريف توطين في معجم المعاني الجامع..

المنارة للاستشارات
www.mar

حماد الجوهري والفارابي والفيروزأباي أن التوطين يهدف إلي تمهيد النفس وإعمالها [٥]، والتمكين وتوطين العساكر.

- التوطين اصطلاحًا:

يفهم من المعاني اللغوية ومقاصدها أن المعني الاصطلاحي لكلمة توطين يعني مقصده [٦] سياسة عربية لها غاية وهدف، لا يتحقق إلا بتحديد موضع لتفعيله؛ ولا يأتي جزافا ؛ فإختيار الفسطاط التي عسكر فيها الفاتحون العرب إبان عمليات الفتح يشير إلي غاية الفاتح العربي من جعلها معسكراً للجند تنطلق منه الحاميات العربية هنا وهناك تحقيقًا لاستراتيجية التوسع العربي بهدف نشر الاسلام في غير بلاد الاسلام، وتظهر أهمية مدينة الفسطاط باعتبارها موضعاً لانطلاق الجيوش العربية في كونها مركزاً لاستكمال عمليات التوسع العربي بعد إتمام الفتوحات في العراق والشام، ولم يكن ذلك إلا بضم مصر والبلاد المغاربية وتأمين الحدود المصرية إلي الدولة العربية الإسلامية ، وبالجملة فإن الفاتحين العرب يعول عليهم وليس علي غيرهم عمليات التوسع في الجهات المصرية والمغاربية في ظل نفوذ الدولة العربية السياسي والعسكري ، وأن سياسة التوسع لا تتحقق إلا بفضل رعاية الدولة الإسلامية ودعمها ، ذلك أن توطين الجند العربي وتمكينه من موضع الفسطاط ، ودعمه لتحقيق الهدف أمر ضروري عند الإعداد قبل إسكان الجند في الثكنات داخل قطر بعينه[٧].

ب- تعريف المواطنة (لغة) :

مصدر مواطن [٨]، ومأخوذة في العربية من الوطن بمعني المنزل الذي تقيم فيه، أي موطن الإنسان ومحله ، ووطن وطناً، اتخذه وطناً، وتوطن البلد ، اتخذه وطناً ، وجمع

---

[٥] الفارابي (ت : ٢٩٨هـ) نصر إسماعيل الفارابي : تاج اللغة وصحاح العربية المسمي (الصحاح) بحواشي عبدالله بن بري المقدسي المصري (ت ٥٨٢هـ) ، وكتاب الوشاح للتأويل لأبي زيد المغربي ، دار إحياء التراث الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ج٥ ، ص ٣٧٤ .

[٦] دوزي:تكملة المعاجم العربية، نقله إلي العربية جمال الخياط، وزارة الثقافة، بغداد، ٢٠٠١م، ص ١٦٩.

[٧] دوزي (رينهارت): نفسه ، ص ١٦٩.

[٨] ابن منظور : لسان العرب ، دار المعارف ،القاهرة ، (د.ت) ، ص ٤٨٦٨.

المنارة للاستشارات
www.mar

الوطن أوطان، ومعناه المفرد ، المنزل الذي يقيم فيه الإنسان ولد فيه أم لم يولد[٩]، وفي معجم اللغة العربية ، واطن يواطن مواطنة، فهو مموطن، والمفعول بفتح ما قبل الآخر مموطَن[١٠]، ويشير ابن منظور[١١] إلي كلمة المَواطن بكسر ما قبل الآخر بمعني مقام قام به الإنسان لأمر فهو موطِن له.

واحتل المصطلح لغوياً مفهوماً في الدولة الإسلامية[١٢]، وأورد معجم المعاني الجامع حصرياً للمعني اللغوي لهذه اللفظة اعتماداً علي ما توصل إليه كل من الشوكاني في الفتح القدير والنسفي في تفسيره حول ما ورد في القرآن الكريم بشأن المفهوم اللغوي للمصطلح فى آيات (٢٥) من التوبة و(٨١) من القصص، و (٩) من الحشر و(٥) من الإسراء و(٨) من الممتحنة و(٢٧) من الأحزاب، و(٨٤) من البقرة ، وتنحصر كلها في معني الوطن، جمع موطن، أو أماكن ؛ جمع مكان ، وترتبط الكلمة بالحرب ، ومواطنها ، فيما يشير إلي أصل المواطنة، جمع موطن، ومواطن الحرب، مقاماتها، والمواطن هي الأماكن[١٣].

ويتصل معني الكلمة بكلمة الدار أو الديار بمعني الوطن في القرآن الكريم ثماني عشرة مرة[١٤]، كما وردت كلمة الدار أو الديار في سورة القصص[١٥] بمعني الوطن ووردت

---

[٩] علاء الدين عبدالرازق جنكو: المواطنة بين السياسة الشرعية والتحديات المعاصرة ، كردستان ، العراق، ص ٣٢ .

[١٠] أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ط أولي، دار عالم الكتب، القاهرة ،١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م، ص ٢٤٦٢ .

[١١] المصدر نفسه ، ص ٤٨٦٨ .

[١٢] ويعني بها تاريخ هذه الدولة منذ أن أنشأها النبي محمد صلي الله عليه وسلم ، وظلت قائمة في ظل نفوذ الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين.

[١٣] الشوكاني: الفتح القدير، ط أولي، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، دمشق– بيروت ،١٤١٤هـ ، الجزء الثالث، ص ٢٣٦، النسفي(أبوالبركات حافظ ت سنة ٧١٠هـ)، تفسير النسفي "مدارك التنزيل وحقائق التأويل "تحقيق وتخريج أحاديث ليوسف علي بديوي، ومراجعة: محي الدين ديب نستو، دار الكلم الطيب، ط أولي، بيروت، ١٤١٩هـ، الجزء الأول، ص ٦٧٢. والجزء الثاني، ص ٢٤٦، ٦٦٠، ٦٧٩ والجزء الثالث ص ٢٧٥ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٩.

[١٤] الشوكاني: المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٢٣٦ .

المنارة للاستشارات
www.mar

بنفس المعني في سور الإسراء[١٦] والحشر[١٧] والممتحنة [١٨] والأحزاب[١٩]، وقد جعل القرآن الكريم ، الخروج من الديار كالاخراج من الوطن أو الديار مثل القتل سواء بسواء[٢٠].

- المواطنة اصطلاحاً :

وإذا نظرنا إلي مفهوم كلمة المواطنة نجده مباحاً بين الحضارات القديمة بمعني المكان في داخل الدولة، وكان يمنح هذا المكان حقوقاً للأفراد، غير أن هذه الحضارات فتحت مجالاً للفكر السياسي الاغريقي والروماني، فالأول صار مقصوراً علي ما توصلت إليه دولة المدينة بين الأفراد المتساويين، بينما قصرها الثاني علي حقوق المواطن الروماني فقط، بمعني أن المواطنة عند الرومان لا تعني سوي منح الحقوق من قبل الدولة للرومان وحدهم ، ولا يرون أن تتمتع الأجانب بأي حقوق .

وتطور الأمر بالسماح للاجئين بالحقوق إذا كان لهم ضامن أو كفيل[٢١]، وهكذا تراجع المصطلح في العصور الوسطي ، وبات ممسوخ الدلالة حتي القرن السابع عشر الميلادي، حيث دخل حيز الرعاية مع حركات الإصلاح سنة ١٦٤٨م بمعاهدة وستفالد مع بدايات تطبيق العقد الاجتماعي.

غير أن ما حدث في مصر إبان الفتح العربي من شأنه أن يظهر المواطنة في أبسط معانيها من خلال إلتزامات متبادلة بين العرب الوافدين إلي الفسطاط والأقباط المصريين، والعرب ممثلو الولاية العربية الجديدة وهم ممثلوا الحكومة والدولة العربية في

---

[١٥] آية (٨١) .

[١٦] آية (٥).

[١٧] آية (٩) .

[١٨] آية (٨) .

[١٩] آية (٢٧) .

[٢٠] البقرة آية (٨٤).

[٢١] راجع مسعود موسي الربضي:أثر العولمة في المواطنة، بيروت ، ٢٠٠٨م ، العدد ١٩، انظر ص ١٠٩ وما بعدها ، راجع: حسان ايو: مفهوم المواطنة، الحوار المتمدن، العدد ١٤٧١ في ٢٠٠٦/٢/٢٤م. http://www.ahewar.org/debat/show.artasp?aid=58014&r=0

المنارة للاستشارات
www.mar

مواجهة شرائح القبط المطالبين بحقوقهم المدنية والسياسية مقابل ما يؤدونه من التزامات للولاية العربية الجديدة .

ثانياً:تحول مصر البيزنطية إلي ولاية عربية وآثاره في بعث فكر المواطنة:

لم تكن العمليات العسكرية التي نفذها الفاتحون العرب لمصر البيزنطية تهدف إلي التوسع دون أن يحملوا تشريعات مستوحاه من قيم الإسلام ، بل جاءوها لفتحها حاملين معهم معالجات قيمية تدعو إلي صلاح الإنسان المصري وإنقاذه من القهر البيزنطي ومعاول هدمه لحرية سكانه ، وتجلي ذلك في كل مرحلة من مراحل التحول بمصر إلي حياة آمنة مستقرة.

أول مراحل هذا التحول تبدو واضحة في سياسة الفاتحين تجاه أهالي مصر الأصليين، ففي تطبيقهم لعمليات التوسع في البلاد المصرية لم يوجهوا أسلحتهم ضد أصحاب هذه البلاد من الأقباط وإنما سمحوا لهم بأن ينعموا بحرياتهم ، وأبقوا علي أنظمتهم وانشغلوا بمواجهة المستعمر البيزنطي الذي أذاقهم من معاول القهر والعسف بما لا يوصف[٢٢].

وتبدو الأهداف العربية واضحة في فتح العرب للمواضع المصرية ، ذلك أن الفاتحين تحت إمرة عمرو بن العاص انتقلوا من قيسارية بفلسطين مواصلين السير حتي دخلوا

---

[٢٢] ظل الأقباط في مصر يقاسون الجبروت البيزنطي بشكل كبير منذ عهود الأباطرة الرومان الوثنيين وكان أكثرها ضراوة عهد دقلديانوس (٢٨٤–٣٠٥م) الذي أسرف في قتل النصاري في صعيد مصر (ساويرس بن المقفع) (ت: أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي): سير الآباء البطاركة ، نشر فريد سيبولد، مطبوعات جمعية الآثار القبطية، القاهرة، ١٩٤٣م، المجلد الأول، ص ٥٤، ولم تتحسن أحوالهم في العهود البيزنطية برغم اعترافها بالمسيحية ضمن الديانات الأخري واعتبارها رسمية في جميع أنحاء الإمبراطورية البيزنطية منذ عهد ثيودوسيوس (٣٧٩ – ٣٩٥ م) .

Manier : L'Egypte Pyzantine , (Precis de
L' histoire d' Egypte) , T , II , Paris , 1933 , PP. 38-39 .

واستمر الحاكم البيزنطي " قيرس" قبيل دخول العرب مصر يواصل اضطهاده لأقباطها وكان أكثرها عنفاً في أنحاء الصعيد الأوسط ، ولم ينقذهم سوي قدوم الفاتحين العرب

Wiet (Gaston): Histoire L'Egypte Arabe (Histoire de La Nation Egyptirnne, Tom IV Paris , 1937 ,P. 17-18 .

المنارة للاستشارات
www.mar

شمال مصر، ومنها واصلوا مسيرتهم مروراً بالحصون البيزنطية الداخلية الفرعية[٢٣] ، دون أن يصيبوا قبطها بأذي، حتي أحكموا قبضتهم عليها، وهكذا حتي بلغوا بابليون[٢٤]، فحاصروه ، وشددوا عليه بعد أن جاءهم المدد العسكري من قبل الخليفة عمر بن الخطاب؛ وعملاً بفن الحرب والقتال وقبل أن يأتي المدد، واصل عمرو بن العاص قبل إنهاء فتح الحصن مسيرته القتالية ناحية الغرب والجنوب مطمئناً أهالي البلاد بالأمان في وقت كان يقاوم فيه كتيبة الحفر البيزنطية بناحية الفيوم بكل ضراوة، ومنها إتجه بجنده إلي الصعيد الأوسط، وأوقعوا بالحاميات البيزنطية هناك وأرغموها علي الفرار إلي حيث أبويط[٢٥] المحصنة، وسرعان ما هاجموا الحصن الأكبر البيزنطي في بابليون، الأمر الذي ألجأ الحاكم البيزنطي في مصر إلي مفاوضة العرب، وعقد الصلح معهم سنة٢٠هـ/ أكتوبر ٦٤٠ م.

وتبدو السياسة العربية عند فتح الحصن في حرصها علي تطبيق مبادئ الاسلام، ورعايتها لحقوق القبط في ثنايا اتفاق الصلح الذي كفل للمصريين حرية العقيدة ، وتأمين حياتهم وأموالهم مقابل قيامهم بدفع الجزية، في صورة تدعو إلي تشريع أولي إسلامي ينادي بحرية القبط واستطابتهم الحياة المدنية وتخليصهم من المستعمر البيزنطي الذي أفسد لديهم الحياة العقدية والمالية .

تبدو الفكرة السياسية لدي الفاتحين مكتملة بعد فتح حصن بابليون وهي الفكرة التي تنطوي علي تحول مصر سياسياً إلي ولاية عربية، ذلك أن الواقع العسكري – آنذاك – يشير إلي أن هذا الفتح قد أدي إلي فصل دلتا مصر عن صعيدها ، وبات من الميسور عملياً الزحف إليهما والخلاص من حامياتها البيزنطية الأمر الذي أمكن تطبيقه بالزحف

---

[٢٣] من ذلك حصون الفرما وأم دنين (ويعني بها الحصن قرب خليج تراجان) .

[٢٤]هو الحصن الذي بناه الإمبراطور تراجان (٩٨– ١١٧م) ، وسماه العرب قصر الشمع، المقريزي (ت: ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، بولاق ، ١٢٧٠هـ ، ج١ ، ص ٢٨٧ .

[٢٥]قرية مصرية قرب بوصير، وهي من الأعمال البوصيرية، انظر:ياقوت الحموي(ت: ٦٢٦هـ/ ١٢١٨م)، معجم البلدان، ط السعادة، القاهرة، ١٩٠٦م، وفي إشارة أخري إحدي نواحي البهنساوية في وسط الصعيد.(انظر:محمد رمزي:القاموس الجغرافي، دار الكتب المصرية، ١٩٥٣–١٩٥٤، ج٣، ص ١٢٥).

المنارة للاستشارات
www.mar

العربي نحو الإسكندرية سريعاً في نوفمبر ٦٤١ م والانسياح نحو الصعيد[٢٦] حتي تم تأمينه بفتح الحدود الشمالية للنوبة ، ولم يستغرق ذلك كله سوي بضع شهور كانت نهايتها أواخر عام ٢٠هـ/ ٦٤١م ، وسرعان ما أسفرت تلك المواجهات عن الفتح الكامل لمصر بفتح الإسكندرية الثاني وعقد الصلح سنة ٢٥ هـ.

تبلورت الفكرة السياسية للفاتحين بحيث باتت أكثر اكتمالاً بتحول مصر إلي التبعية العربية ببناء أول حاضرة عربية فيها وهي الفسطاط ، وما لبثت هذه الحاضرة أن صارت رمزاً للسيادة العربية ، والحكم الإسلامي في مصر ، ومقراً لاتخاذ السياسات والتشريعات التي تخول للفاتح حكم البلاد الإسلامية وفقاً لما حمله الفاتحون من التشريعات القرآنية والسنة المطهرة.

يتضح لنا مما تقدم أن إرهاصات ترسخت بتأثير الفتح العربي عند نصاري مصر يتعاظم فيها البعد السياسي لفكرة المواطنة المترتبة علي الوجود العربي الناشئ بالفسطاط ، وهو أمر يشير إلي ملامح الانتماء الجديد بتأثير الإسلام إلي وطن أو أمة [٢٧] يجمع المصريين قبطهم ومسلميهم في دائرة واحدة يحكمها تشريع إسلامي جديد منذ سنة ٢٠ هـ/ ٦٤٠م .

ومما ساعد علي وجود علاقة بين القبط والعرب حرص الفاتحين علي إتباع سياسة تتوخي مبادئ العدالة والمساواة بين هذين العنصرين منذ توطن الأخير في أراضي الأول داخل الفسطاط، وفي ذلك إشارة إلي أن مبادئ المواطنة بمعناها الواسع أتت بتأثير

---

[٢٦] البلاذري: (ت: ٢٧٨هـ/٨٩٢م)، فتوح البلدان: نشر صلاح الدين المنجد، القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٥٦م، ج١، ص٢٥٤، وابن عبدالحكم(ت٢٩٧هـ)فتوح مصر وأخبارها تحقيق:عبدالمنعم عامر، القاهرة، ١٩١١ م، ج ١، ص ٢٢٨، الطبري: تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم ، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٧م، ج٤، ص١٠٤-١٠٥، ويري المقريزي: الخطط، ج١، ص٢٠٠ أن هذه الحملة كانت في عام ٢٠هـ أو في عام ٢١هـ مخالفاً بذلك ما انتهي إليه كل من البلاذري وابن عبدالحكم.

[٢٧] انظر في نشوء تلك الفكرة(الانتماء) والتي تُعد شرطاً أساسياً من شروط توفر خصائص المواطنة معناها العام في دراسة بعنوان(المواطنة بين السياسة الشرعية والتحديات المعاصرة) من تأليف:علاء الدين عبدالرازق .

المنارة للاستشارات
www.mar

بدايات توطين العرب في مصر ، وتمضي بطبيعة الحال – هذه البدايات مستمرة بتأثيراتها عبر الأزمان المتلاحقة في العصور الوسطي الإسلامية في وقت غابت فيه هذه المعاني في الفكر السياسي الأوربي خلال العصور الوسطي حتي حلول القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، ثم صيغت مبادئها خلال حركات الإصلاح سنة ١٦٤٨م[٢٨].

وينتهي بنا الحديث حول المواجهة بين القبط والعرب فى ضوء حاجة كليهما لفكر المواطنة الذي ترسخ في أذهان الحكومة المصرية كأداة للحكم بمقتضي سياسة الخلافة الإسلامية الصادرة من حاضره الدولة العربية الإسلامية خلال القرون الثلاثة بعد الهجرة من تاريخ الإسلام في مصر، ويستوجب ذلك كله فرضية بضرورة التزام العنصرين بهذا المنعطف الجديد الذي يسوده التواجد العربي المسلم بجوار القبطي النصراني ، في ظل سياسة عادلة تدعو إلي تشريعات إسلامية تتمثل في حقوق النصاري المذعنين لمطالب الفاتح العربي، بمعني أن المجال الجديد الذي أنشئ في مصر بدخول العرب إليها سنة ٢٠هـ قد فرض علي عنصري مصر (مسلم وقبطي) حقوق وواجبات تعبر عن انتماء كليهما إلي وطن جديد يعكس ميلادا جديدا لشعب جديد اسمه (شعب مصر الإسلامية).

ثالثاً: التوطين والمواطنة في مصر خلال القرن الأول الهجري :

بدي منذ الوهلة الأولي أن ملامح العملية العسكرية تمضي وفقاً لاستراتيجية التوسع عند العرب الفاتحين بخطي ناجحة كانت بدايتها دعوة القيادة السياسية بتوطين العناصر الفاتحة في معسكر للجند إعداداً لاستكمال عمليات الفتح، وتأميناً للحدود وتوسعاً في المساحات المفتوحة، وتتجلي هذه الدعوة فيما أذن به خليفة المسلمين عمر بن الخطاب للقائد الفاتح عمرو بن العاص باتخاذ الخطوة لفتح مصر، فسار من قيسارية بفلسطين حتي باغت حصن بابليون، بعد أن أجري من حوله عدة محاولات تأمينية[٢٩] صارت مدعاة لإحتواء كافة الأراضي المصرية بعد فصل دلتاها عن صعيدها[٣٠].

---

[٢٨] انظر :مسعود موسي:أثر العولمة في المواطنة، العدد ١٩، ص ١٠٩ وما بعدها ، وانظر أيضاً : حسان أبو :مفهوم المواطنة،الحوار المتمدن في ثنايا الحديث عن تطور استخدام مفهوم ودلالات المواطنة. http://www.ahewar.org/debat/show.artasp?aid=58014&r=0 .

[٢٩] ابن عبدالحكم : نفسه ، ج١ ، ص ٨٥ – المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص ٢٨٩ .

[٣٠] حنا النقيوسي: (ت: أواخر القرن الأول العربي / السابع الميلادي) تاريخ :

المنارة للاستشارات
www.mar

تابعت القيادة الإسلامية الممثلة في خليفة المسلمين عمر بن الخطاب باتخاذ أول إجراءات توطين العرب باختيار مكان لإنعزال الجند، بالفسطاط[٣١]، بحيث تصير الحياة فيها أشبه بمعسكر للجند العربي لا مدينة عامرة ، ولاحق الخليفة هذه المحاولة بإصداراته السياسية التي تصوغ للفاتحين الإقامة العسكرية دون القيام بالزرع والمزارعة بهدف الحفاظ علي الدماء العربية، وحتي لا ينشغلوا بامتلاك الأراضي[٣٢].

وعلي الرغم من أن التوطين هنا يؤدي إلي نتيجة طبيعية تجعل منه البدايات الحقيقية لغرس فكرة المواطنة التي صاحبت منذ البداية عمليات الفتح، فإن اللفظتين التوطين والمواطنة كانتا تؤديان مرحلة مستقبلية لتكوين المجتمع الجديد في مصر، ولننظر إلي أن الاتفاق في بابليون ٢٠هـ/ أكتوبر ٦٤٠م ، انتهي بعقد الصلح الذي كفل للمصريين الأقباط حرية العقيدة، وأعطاهم أمناً وأمانا علي حياتهم وأموالهم مقابل الواجب الذي يؤدونه بدفع الجزية للعرب الفاتحين[٣٣] . معبرين عن مسئوليتهم وعلاقتهم بالدولة ومن يمثلها من الجند الفاتح.

وعلي جانب آخر فإن المكان الذي اتخذه الجند العرب في الفسطاط صار مجاوراً لما حول الفسطاط من مجاورات تجمع سكاناً أصليين من القبط في مصر، وبات الموضع علي هذا النحو وطناً واحداً يجمع العنصرين العربي والقبطي في مستهل الحياة الجديدة التي جمعتهما إبان مرحلة الفتح.

Chronique de Jean Eveque de Nikiou Texte Ethiopien Publie et Traduit Par. M.H. Zotenberg (Natices et extraits des Manuscrits de la Bibliotheque National et autres Bibliotheque Paris , 1883 , P. 555.

[٣١]راجع:ابن عبدالحكم:المصدر نفسه، ص ٩٨، القلقشندي: صبح الأعشي، القاهرة،١٩١٢–١٩١٤، ص ٧١ .

[٣٢] راجع سيدة الكاشف : مصر في فجر الإسلام ، القاهرة ، ١٩٤٧ م ، ص ٧١.

[٣٣] راجع المقريزي : المصدر نفسه ، ص ٢٩٠ – ٢٩١ .

المنارة للاستشارات
www.mar

غير أن التوطين باعتباره سياسة ناشئة من مركز الخلافة[٣٤]، كان مرتبطاً بالمواطنة في أحداث صلح بابليون، لكن بعد نجاح العرب في فتح الحصن وبناء الفسطاط اخذت صلتهم بالمواطنة منعطفاً مختلفاً، حيث انغلق الجند العرب علي أنفسهم داخل الفسطاط في بواكير حياتهم، الأمر الذي صار معوقاً لفكرة الارتباط بين مظاهر كليهما ، بمعني أن التوطين – هنا– لا يمهد لحدوث المواطنة لأسباب تعود في كليهما إلي صيرورة الفاتحين الذين باتوا منعزلين عن القبط بعيدين عنهم في ترقب لقرارات الخلافة من أجل التوسع، وفي هذا الشأن أصبح الانعزال الاجتماعي لجند العرب [٣٥] مجالاً لفتح آفاق طبيعية تفرضها ظروف الفتح، فقد أصبح العنصران(الفاتح) و(المقيم) يمارس حياته بعفوية دون أن يمسسهما سوء أو يروع لهما سرب، وأمام هذا المتغير باتت المواطنة لدي المقيمين

---

[٣٤] تجلي ذلك حين أذن الخليفة عمر بن الخطاب بوصفه رأس الدولة وهو في الجابية في العام ١٧ هـ لعمرو بن العاص بالمسير إلي مصر لفتحها بعد إتمام فتح الشام (ابن عبدالحكم: نفسه، تحقيق: عدالمنعم عامر ج١، ص ٨٠).

[٣٥] راجع كلا منا حول انعزال العرب في الفسطاط جرياً وراء سياسة عربية مرسومة إبان مرحلة الفتح ، أنظر: كتابنا الأحداث السياسية في مصر الإسلامية منذ الفتح العربي حتي سقوط الدولة الفاطمية (٢٠-٥٦٧هـ)ط أولي دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص٨١، ومما يرسخ في أذهاننا وجود ظاهرة الانغلاق العربي داخل الفسطاط أبان مرحلة الفتح قلة النسبة العددية للعرب داخل الفسطاط يحيط بها أعداد هائلة من القبط في كافة الأنحاء المصرية، ومن المفترض أن يكون الحديث عن سكان مصر العرب والأقباط فجر الإسلام أمراً يهم علماء الاجتماع وحاولنا قدر الإستطاعة أن نبحث هذه الجزئية لدي المتخصصين في هذا الفرع ، ولكن دون جدوي باستثناء ما كتبه عبدالرحيم عمران أحد الأنثروبولوجيين في بحثه الكبير بعنوان:" Egypt population problem and prospect"، من إصدارات جامعة كارولينا، وهو نفس الإصدار الذي ترجمه بالعربية بعنوان: "مصر؛ مشكلاتها السكانية وتطلعاتها " نشر مؤسسة فرانكلين، القاهرة، ١٩٧٧، ووضع فيه دراسة ديموغرافية تفند الأخطاء التي وقع فيها المؤرخون الذين أشاروا إلي أن سكان مصر بلغوا زمن الفاطميين ستة ملايين نسمة، وتفند أيضاً ما وقع فيه ابن عبدالحكم خطأ بجعلها قبل هذا الوقت بقرنين ونصف أثني عشر مليوناً علي أساس مقادير الخراج، وليس أمامنا هنا سوي أن نعتمد نتائج هذه الدراسة الديموغرافية التي توصل من خلالها صاحبها إلى أن سكان مصر في القرن التاسع عشر الميلادي قد تراوح بين إثنين وخمسة ملايين نسمة ألامر الذي يجعلنا نتوقع بلوغها خلال فترة البحث بما لا يزيد عن مليونى نسمه.

المنارة للاستشارات
www.mar

القبط بتأثير عدم صدامها بمطالب الفاتح تسير بخطي ثابتة تعلو فوق المصالح الاثنية، وتعظم من حقوق العرب والقبط في آن واحد.

وفي هذا الإطار باتت رغبة الأشخاص ؛ وافدين ومقيمين تبحث عن الجوانب الحياتية، وتنشغل بها بحيث لا يتعارض ذلك مع السياسة العليا للفاتح، واستقرار حياة القبط، مما أسفر عن أبعاد جديدة لمعني المواطنة، ذلك أنه من الطبيعي أن ينتمي كل شخص عربي بإنتمائه إلي وطنه الجديد الذي شغله مع أقرانه العرب داخل الفسطاط؛ وعلي نفس الحال أصبح الأقباط من جانبهم يجددون انتماءهم بوطنهم المصري بعد أن أصبح خالياً من عنصرية الروم وقهرهم العقدي والمالي ، الأمر الذي كان من وراء ترحيب القبط بالعرب، وهكذا تلاحم الاثنان في بوتقة واحدة تنتمي إلي وطن صار جديداً لكليهما حسبما يتراءى إليها من مستجدات حياتية في ظل هذه الآونة الحياتية المبكرة من تاريخ مصر الإسلامية.

من شأن مثل هذه الحياة المبكرة في الفسطاط أن تساعد علي تزايد قدوم نفر من العناصر العربية إلي مدينتهم الناشئة في مصر، كما تفرض مناخاً صحياً يسوده الوئام بين العنصرين؛ وأن تبقي الحياة قائمة دون أن يغير أحدهما علي الآخر طالما أن التصادم بينهما بات أمراً غير محتمل لانشغال كل منهما بعيداً عن الآخر، كما أنه من آثار اقتراب أحدهما بالآخر في الأرض والجوار كان يتسبب فيما ليس له بد من حدوثه في التمهيد لظهور آثار المواطنة ؛ وتعاظم فعالياتها وخاصة تلك المرتبطة بمظاهر التوطين من هذا النوع المنغلق الماثل في الفسطاط، ولدينا عدة مظاهر تبدو بوضوح إذا ما تناولنا طبيعة العلاقة بين الفاتح والمقيم في مصر، من ذلك أن السيادة العربية التي فرضت سياسة العزلة علي أفراد القبائل لم تكن مطلقة ذلك أنه لابد من حدوث احتكاك بين هذين العنصرين اللذين يعيشان داخل كيانين يجمعهما وطن واحد مما تسبب في حدوث أشكال اتصال بين هذين العنصرين حين أخذ العرب في اتخاذ مرتبع للجند خارج الفسطاط وهو ما يمثل أقدم أشكال الاتصال بينهما [٣٦].

[٣٦] ابن عبدالحكم : نفسه ، ص ١٤١– ١٤٣ .

المنارة للاستشارات
www.mar

ويبدو الطابع العفوي لدي العنصرين محترم الجانب ، قوي التأثير في مواسم الارتباع، ويتجلي ذلك أن الجنود العرب المرتبعين تعرفوا علي حياة المصريين الثقافية والاقتصادية والاجتماعية دون لأي وعناء، ولم تر الأقباط أي خروج أو ثورة في وجه الحاكم العربي (آنذاك) بسبب قدوم العرب علي مواطنهم في أرياف مصر بل رحبوا بهم[٣٧]، ووفروا لهم الحياة الآمنة، واستقبلوهم بترحيب زائد أياماً عملاً بالسنة التي سنها عمرو بن العاص حينما وضع أساساً للجندية في مصر[٣٨] علي أن مرتبع الجند لم يوسع دائرة التوطن خارج الفسطاط بأمر من رأس الخلافة خلال القرن الهجري الأول تحقيقاً لأمر يخص استراتيجية التوسع التي تحول دون اختلاط واندماج العرب الوافدين بأهالي البلاد المصرية حسبما يقتضيه حال القتال انطلاقاً من القاعدة العسكرية بالفسطاط؛ ولم يعاودوا مرتبعاتهم إلا في الأوقات الخالية من الحروب[٣٩].

وكان يجمع السلوك العفوي الوافد العربي والمقيم القبطي خلال فترات الارتباع بشيئ ملموس من أبعاد المواطنة وهكذا تبدو ملامح المواطنة في أشد مظاهرها عند قيام الوافد والمقيم خلال الفترات الخالية من الحروب بمهامهم المدنية وبما ينطوي علي الود وبعيداً عن العداء [٤٠]، ولنذكر في هذا السبيل محاولات عربية بمساعدة أيادي قبطية في

---

[٣٧] راجع كتابنا (الأحداث السياسية في مصر الإسلامية) ، ص ٨١ ، ٨٢ .

[٣٨] المقريزي : نفسه، ج١ ، ص ٢٩٢ .

[٣٩] الكندي (ت ٣٥٠ هـ) : الولاة والقضاة بيروت ، ١٩٠٨م ، ص ٨٤ .

أشار عبدالله خورشيد البري فيما اسماه رحلة الربيع حول مرتبع الجند في كتابه " القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولي للهجرة، وضمن هذا الكتاب فصلاً بعنوان : القضايا العربية والمجتمع المصري، حيث عالج المظاهر الاجتماعية التي أقبل عليها العرب في مصر فجر الإسلام واتخذوها أساساً للحياة العربية ومنها:الخطط، الديوان، تنظيم القبيلة، المرتبع، المسجد، المجلس، العريف، (انظر:عبدالله خورشيد البري:القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولي للهجرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢، ص٢٨٥، ٢٧٧، ٢٩٦، وخصص: إبراهيم أحمد العدوي في كتابه "مصر الإسلامية مقوماتها العربية، ورسالتها الحضارية فصلاً خاصاً مفصلاً حول مرتبع الجند، نشر الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م) ، واعتمد فيه علي ما أورده ابن عبدالحكم بهذا الخصوص وهو نفس الفصل الذي اعتمدنا عليه بما يفيدنا في تناول مشكلة الدراسة بشأن قضيتنا المبحوثة ، "التوطين والمواطنة في مصر فجر الإسلام" حفاظاً علي وحدة الموضوع وعدم الخروج عن مفرداته وحيثياته .

[٤٠] المقريزي : نفسه ، ج١ ، ص ٢٩٢ .

المنارة للاستشارات
www.mar

إنشاء حمامات وقياسر في عهد والي مصر عبدالعزيز بن مروان [٤١] فضلاً عن عنايتهم ببناء المساجد التي كانت تسير جنباً إلي جنب مع تخطيط المدن ، دون أن يشغلهم ذلك كله عن المساهمة في عمليات التوسع بما يتفق والسياسة الأموية التي أكملت مسيرة الجهاد الراشدى[٤٢].

وتظهر أحكام المواطنة عند الأقباط – آنذاك – بالتزامهم بدفع الجزية [٤٣] وكانوا يؤدونها إلي الفاتح العربي مقابل قيامه بحمايتهم وحرياتهم في المال والدين ، ويأتي تسامح الفاتح تجاه القبط في جباية الجزية برهاناً علي أن الدولة الإسلامية حرصت علي تحرير المقيم من كافة أشكال القهر الديني بدليل أن عمرو بن العاص والي مصر سمح للأقباط ببناء الكنائس في الإسكندرية [٤٤]، وفي هذا الاطار تمتع الأقباط في عهد بني أمية بالمسامحة في بناء الكنائس في عهد الوالي عبدالعزيز بن مروان، وهي سياسة لم تشهد مصر منذ حينها أدني تغير[٤٥]، واقترن ذلك كله بفرض الجزية، بإستثناء ما وقع من مناوشات إفتعلها القبط لاسباب مالية.

وكانت سياسة الدولة الإسلامية تحمي مواطنيها القبط بما ينطوي علي العدل والتسامح في محاولات جادة لحماية أهالي البلاد المصرية، – وبالذات – إذا ما لجأ بعض الولاة إلي التعسف في جمع المال منهم ، ونشير في هذا المضمار أن الخليفة عمر بن عبدالعزيز (٩٩– ١٠١هـ) كتب إلي حيان بن سريح والي مصر بعدم المضي في جباية

---

[٤١] ابن عبدالحكم : نفسه ، ص ١٣٦ .

[٤٢] انظر في هذا الشأن جهود العرب–آنذاك– في غزو إفريقية سنة٤٤هـ، وفي درء الخطر البيزنطي علي الحدود المصرية البحرية في البرلس سنة٥٣هـ ودمياط سنة٩٠هـ، وتنيس سنة١٠١هـ،(انظر المقريزي: الخطط ، ج٢، ص١٤) وراجع كتاب الأحداث السياسية ، ص ٨٣ .

[٤٣] حنا النقيوسي: نفسه ، ص ٥٢٤ ، ساويرس : نفسه المجلد الأول/ الجزء الأول ص ١٠٧ ، وحول الجزية انظر: ياسمين جابر: الجزية بين الثبات والتراجع في مصر الإسلامية ، رسالة ماجستير ، جامعة أسيوط ، ديسمبر ٢٠١٩ .

[٤٤] أبوصالح الأرمي:(أرخ لعصر الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، (٤٢٧–٤٨٧ هـ)، كنائس وأديرة مصر، نشر ايفتس ، اكسفورد ١٨٩٣م Fol / 03 / 5 ، المقريزي : الخطط ، ج٢ ، ص ٥١٧ .

[٤٥] المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص ٤٩٢ .

المنارة للاستشارات
www.mar

الجزية ممن دخلوا الإسلام مشيراً عليه بأن الله إنما بعث محمداً – صلي الله عليه وسلم – هادياً، ولم يبعثه جابيا[٤٦].

وكان طبيعياً أن ينتهز الأقباط هذه السياسة العربية خلال القرن الأول الهجري في استطابة حياتهم ، ففي الوقت الذي ترك فيه الحكام العرب للأقباط أنظمتهم وصنائعهم وأبقوا عليها تجلت مهارتهم في صناعة السفن والنسيج والصناعات الغذائية والحرفية[٤٧] ، في ظل سياسة عربية حامية للحياة القبطية ، وهي فترات زمنية عاش فيها المسلمون والأقباط في الأيام المبكرة دون أن يلمس أي قبطي تجاوزاً أو خروجاً من سياسات الحكومة العربية في مصر.

ومما ساعد علي بزوغ ارهاصة مؤثرة لترسيخ فكر المواطنة في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ مصر الإسلامية أن العنصرين الوافد والمقيم اقتربا بالمشاركة في بناء مجتمع جديد لشعب جديد بحيث أصبح كلاهما مسئولاً عن صيرورة حضارية مصرية ناشئة، ولعل أصدق برهان علي ذلك أن العربي الحاكم حين كان يفضل ترك القبط لأنظمتهم اعتمد عليهم في جباية الجزية والإشراف عليها، والوثائق البردية التي ترجع إلي القرن الأول الهجري [٤٨] ، توثق تأكيداً علي أن أصحاب الكور في مصر – آنذاك – ممن كانوا مسئولين ومكلفين من والي مصر – في ضوء سياسة عربية عليا – كانوا يجمعون الأقباط من رؤساء القري وذوي النفوذ فيها من أقرانهم المصريين ليختاروا رجالاً أمناء من بينهم يشاركون في تقدير ما علي كل قرية من ضرائب ، لينتهي الأمر بإرسال هذه الأموال المجباه إلي أكبر موظفي الأقباط في مجال جباية الضرائب وهو جسطال الكورة الذي بدوره يتعاون مع عامل الخراج أو واليه علي مصر من العرب ليطلعه علي أخبار ما توصل إليه في أمر الجباية [٤٩] وكان – آنذاك – هذا الجسطال يخضع لرئاسة صاحب الكورة، وفي

---

[٤٦] راجع: Lane Poole A History of Egypt In the Middle Ages , London 1925 , P. 15

[٤٧] راجع: سيدة الكاشف: نفسه، ص ٢٠، وراجع: ما توصل إليه علماء الآثار في هذا المضمار من نتائج تشهد علي التفوق القبطي في مجال الحياة الحرفية والصناعية خلال القرون الهجرية الثلاثة الأولي.

[٤٨] راجع جروهمان: أوراق البردي العربية، وثيقة رقم ١٤٨، دار الكتب المصرية، ١٩٣٠، ج٣، ص١٤.

[٤٩] وثيقة رقم١٤٨ومؤرخة سنة٩١هـ، ضمن ما أرساه جروهمان من دراسات بردية، المصدر السابق والصفحة .

المنارة للاستشارات
www.mar

ذلك كله أصدق دليل علي أن الدولة الإسلامية كانت تعمل علي تعزيز فكر المواطنة فى مصر منذ فجر الإسلام ، وخلال القرن الأول الهجري ، فمن جانبها كانت تشجع القبط في مصر علي المشاركة في بناء المجتمع الجديد ، دون أن تشعرهم بأن الجزية نوع من فرض الذات العربية ، بقدر كونها دليلاً علي المساواة بين عنصرين القبط والعرب ؛ فالأول يؤديها مقابل ما تلقاه من عناية وحماية الحاكم في دينه وحرياته وأمواله ، والثاني يؤدي الزكاة ليتساوي الجميع بالتمتع بالحقوق والمرافق العامة في الدولة [٥٠] ، واقترن ذلك كله بتدخل رأس الدولة (الخليفة) إذا ما تعسف بعض الولاة في أمر الجباية[٥١] ليمنعهم من الشطط[٥٢]، وكثيراً ما كان يلجأ إلي تأديبهم .

وكان حرص الدولة الإسلامية علي تثبيت فكر المواطنة في مصر منذ فجر الإسلام مؤيداً بسياسة عربية تشير إليها المصادر القبطية فيما تظهره من أن الكثير من القري المصرية نعمت بتعاظم عددي قبطي دون أن يلحقها أذي من قبل الحاكم المسلم، فمن المعروف أن الكثير من القري المصرية إبان مرحلة الفتح خلال القرنين الأول والثاني الهجريين ظلت علي مسيحيتها مستمسكة بقبطيتها ، في وقت انشغلت فيه الدولة الإسلامية بتنفيذ سياسة فوقية تنشد بناء وتقوية أواصرها بالصرف علي ضروب الإصلاح، وتغطية نفقات الجند، من خلال العطاء الممنوح لهم [٥٣].

وصفوة القول فإن توطين العناصر العربية في مصر في توطئة استهدفت فتح مصر قد بدت ملامحها في مدينة الفسطاط إقراراً لهذه السياسة، والدفع بها حتي باتت تمهد لإرهاصة بزوغ فكر المواطنة في مصر الإسلامية خلال القرن الهجري الأول.

رابعاً : التوطين والمواطنة في مصر ق ٢ هـ :

جري تطور سبب حراكاً سياسياً واجتماعياً أسهم في حدوث فكر جديد، بحيث صار من السهل ظهور أبعاد حضارية لهما باتت تمثل نتائج لمرحلة لاحقة علي مرحلة الفتح.

---

[٥٠] الموارديِ:الأحكام السلطانية، القاهرة ، ١٢٩٧ هـ ، ص ١٣٨ ، محمد جمال الدين سرور : الحضارة الإسلامية في الشرق ، القاهرة ، ١٩٧٣ م ، ص ١٠٨ ، وحول الجزية راجع : سورة التوبة آية ٢٨ .

[٥١] راجع ص ٥٨٥-٥٨٦ من هذا البحث .

[٥٢] حنا النيقوسي: نفسه ص ٥٦٢ ، ساويرس : نفسه ، ج١ ، ص ٧ .

[٥٣] راجع كتابنا : الأحداث السياسية في مصر حتي سقوط الخلافة الفاطمية ، ص ٨٤ .

المنارة للاستشارات
www.mar

سرعان ما أصبح التوطين العربي في مصر يأخذ اشكالاً جديدة بعيدة عن الانغلاق الاجتماعي، فلم يعد الأمر كما كان من قبل ينطوي علي انعزال الفاتحين لانشغالهم بمهام الفتح، وإنما صار في هذه الثانية مرتبطاً بسياسة جديدة تبنتها الدولة العربية الإسلامية، وأقرت بموجبها في القرن الثاني الهجري استقدام قبائل عربية لإسكانها في مواطن الريف، فأصبح التوطين في فكره الجديد يشير إلي سياسة عربية عليا تدعو إلي إسكان عناصر عربية بأرياف مصر في قلب مواطن القبط، وتجلي ذلك في قرار الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك (١٠٥- ١٢٥هـ) الذي دعا فيه إلي فرض نوع من التوازن العددي بين عرب الشمال وعرب الجنوب الذين زحفوا علي مصر منذ اندلاع عمليات الفتح العربي للحيلولة دون أن يكون للعنصر العربي القحطاني الغالبية علي حساب القيسية (عرب الشمال)، في وقت كان الخليفة الأموي ذاته متأثراً بنسب أمه القيسية، وعلي الرغم من أن سياسة الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك في هذا الخصوص انطوت علي قرار عام يخص كافة أنحاء الدولة الإسلامية، إلا أن تأثيره في مصر بأبعاده ومقوماته كان يتعاظم علي ما منيت به الولايات العربية من أحداث.

ذلك أن مصر كانت تجني آثار هذا التحول الأموي بشأن توطين العرب بما يعطي أبعاداً ومقومات حضارية تنتهي بإرهاصات جديدة نحو تطور فكر المواطنة في مصر ، وتجلي ذلك في اللقاء الاثني الذي جمع العرب والقبط داخل وطن واحد لأول مرة في حماية سياسة الولاية العربية المصرية بما يحول دون أن ينعزل أحدهما عن الآخر.

وكان أن جري ذلك سنة١٠٩هـ في عهد عبيدالله بن الحبحاب والي خراج مصرالذي استغاث بالخليفة الأموي هشام بن عبدالملك، طالباً منه التدخل للإكثار من عرب قيس في مصر قائلاً له: (ما أري لقيس فيها حظاً إلا لناس من جديلة) [٥٤]، فوافقه الخليفة وكان أن نتج عن هذه السياسة أن استكثرت ولاية مصر من عرب قيس آنذاك بواقع يمثل أربعمائة أهل بيت من بطون بني نصر وبني عامر وهوازن وبني سليم، وزادهم الخليفة الأموي هشام في العام اللاحق حتي بلغت الأعداد القيسية في أرياف مصر ألفا

[٥٤] ابن عبدالحكم : نفسه ،ص ٢٤٣ ، الكندي : الولاة ، ص ٧٦ .

المنارة للاستشارات
www.mar

وخمسمائة أهل بيت[٥٥]، وتطبيقاً لسياسة التوطين الجديدة أنزل عبيد الله بن الحبحاب الجموع الجديدة من الوفود القيسية منطقة بلبيس قريباً من الأرياف ومواطن القبط، (وأمرهم بالزرع، ونظر إلي الصدقة من العشور، فصرفها إليهم، فاشتروا إبلاً ..، ثم أمرهم بشراء الخيول..) [٥٦].

علي أن هذا التحول الجديد في التوطين منذ القرن الثاني الهجري لم يحرم أبناء قيس الذين استوطنوا أرياف البلاد من أعمال الجهاد، وقد واكب هذا التوطن دعوة الوافد العربي إلي تشريعات إسلامية تخص وضعه الجديد؛ ففي الوقت الذي أمرهم فيه بالزرع قرر عليهم الزكاة كتشريع إسلامي ليفيدوا بأموالها بما يعينهم علي الاستقرار ويمنعهم من استعداء أقرانهم في الريف من القبط، وحتي يشعر القبطى الذي يؤدي الجزية بالمساواة مع العربي المسلم ، الأمر الذي رسخ فكرة المواطنة التي كثيراً ما كان يسعي إليها القبطي في مصر زمن القهر البيزنطي.

كان طبيعياً أن يحمل العرب الوافدون معهم نزعة بيئية رسخت في أذهانهم التعصب للقبيلة الأمر الذي يعكس بفضل هذه العصبية الأساس في تنافس قحطاني قيسي – جديد – يحدث لأول مرة في الولاية المصرية ، إذ ما لبثت القبائل القحطانية أمام التوافد القيسي أن نزحت هي الأخري إلي أرياف مصر وقراها لتحاكي مزايا جديدة حصل عليها أقرانهم من قيس[٥٧].

بات انشغال العرب الذين استوطنوا أرياف مصر بتأثير العصبية سبباً مباشراً في تعظيم فكر المواطنة..، ذلك أن الدولة الإسلامية لم يشغلها آنذاك مطالب القبط بقدر انشغالها السياسي بالصراع العربي العربي، وأصبحت إدارة الولاية فى مصر قادرة علي معالجة أمورها السياسية بعد أن خلت مصر – آنذاك – من الصراع العقدي ضد حكامها، وبات الأمر لا يخرج عن كونه مساعي حميدة مبذولة من حكومة الولاية لإشاعة سياسة التسامح والحفاظ علي حقوق الجانبين عرب وقبط في آن واحد ، ولا يخفي علينا أن

---

[٥٥] ابن عبدالحكم : نفسه والصفحة.

[٥٦] ابن عبدالحكم : نفسه والصفة .

[٥٧] راجع الكندي : الولاة ، ص ١٦٩ .

المنارة للاستشارات
www.mar

انشغال العرب بأنفسهم والقبط بأنفسهم، قد أدي بطبيعة الحال إلي إحساس كليهما بالمساواة وعدم التميز، وفي ذلك كله من النتائج التي تمثل مقدمات جديدة لها آثارها في وقت لاحق.

واقترن ذلك التحول الذي أحدثته هجرة قيس إلي أرياف مصر بظهور السعي العربي نحو فكر المواطنة، ذلك أن مصر في عهد ولاية خراج عبيد الله بن الحبحاب تشهد علي تمكين القبائل العربية من استطابة حياة مدنية راقية تعبر عن حرية في عمران الأرض والمشاركة في فعالياته، في وقت كانوا هم فيه يؤدون واجبهم في حماية هذه الأرض إزاء أدني محاولة قد تبدو ممكنة الحدوث من الجهات المغاربية المشمولة بالحماية البيزنطية، الأمر الذي فجر غرساً وليداً معبراً عن انتماء عربي لأرض مصر يظاهره سياسة الدولة في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك[٥٨] ، وانتهي ذلك كله بأن صارت العربية لغة الكتابة الديوانية بعد أن كانت تكتب باللغتين العربية واليونانية[٥٩].

علي أن التدفق العربي علي قري مصر علي هذا النحو ودوره في غرس فكر المواطنة لا يقلل من تأثيره أبداً ما جري من تنافس بين القيسية واليمنية في اتخاذ مراكز ثابتة في قري البلدان القبطية، أو إزاء ما وقع – علي ما يبدو – في نفوس القبط بدافع التعصب لخلوه من نزعة عنصرية وارتكانه إلي الأسباب المالية – بالذات – في أيام الخليفتين هشام بن عبدالملك، ومروان بن محمد وبعض فترات عهد بني العباس[٦٠].

ولا يخفي علينا آثار هذه الثورات القبطية التي اندلعت في وقت لاحق، إذ كان يتبع أخمادها تحول جرئ من الأقباط إلي الإسلام، فضلاً عن ما أسفرت عنه من فرص لتبادل الصلات بين العنصرين العربي والقبطي، الأمر الذي مهد لوجود قناعة قبطية بأن الأرض المصرية باتت أرضاً للعرب والقبط في آن واحد، وليست ملكاً لأحدهما علي حساب الآخر، وفي ذلك كله دليل علي أن لفظة المواطنة تبدو ظاهرة في الواقع السياسي المصري منذ القرن الثاني الهجري الذي نجح فيه العرب في التمركز بجوار مواطن القبط

---

[٥٨] راجع وثائق ٦، ٦١، ١٨، ٨، ٢١من أوراق البردي العربية التي ترجع إلي نهايات القرن الأول الهجري .

[٥٩] راجع جروهمان : أوراق البردي العربية ، ج١ ، ص ٥٣ ، ٥٤ .

[٦٠]انظر الكندي: نفسه، ص٧٣ والمقريزي: الخطط، ج١، ص ٧٤. وأبوصالح الأرمني: نفسه.Fol 77/ b

المنارة للاستشارات
www.mar

يباشرون شعائرهم في الأرياف بعد أن كانوا يؤدونها في الحاضرة فقط، والقبط من جانبهم فى جوارهم يباشرون فعاليات حياتهم اليومية في الارتزاق والبناء ، والحكومة العربية تقوم بشئون حماية الإقليم وتدعو إلي دعمه دون أن تدرأ مخاطر ثورة القبط إلا لعدم إلتزامهم بواجبهم المالي تجاه ما يلقونه من حماية ودعم ، والمقريزي – هنا – يؤكد علي أن القرن الثاني الهجري كان شاهداً علي هذا التحول الكبير بقوله[٦١]:(ولم ينتشر الإسلام في مصر إلا بعد المائة من تاريخ الهجرة عندما أنزل عبيد الله بن الحبحاب مولي سلول قيساً الحوف الشرقي، فلما كان بالمائة الثانية من سني الهجرة كثر انتشار الإسلام بقري مصر ونواحيها).

وسرعان ما أسفر الاختلاط التدريجي في نهاية القرن الثاني الهجري ومع بدايات القرن الثالث الهجري إلي تقارب نفسي بين العرب والقبط وساعد علي ذلك تعرض كليهما إلي أسباب مالية فجرها الحاكم العربي في الولاية المصرية وما لبث هذا العامل أن بات مدعاة لتذمر العرب والقبط متعاونين واعلان سخطهم في وجه الحكومة العربية ، مما كان له دور كبير في ترسيخ مبدأ المواطنة المدعوم بفكرة أن أرض مصر صارت ارضاً يملكها العنصران ، وليس لأحدهما علي حساب الآخر ، فكثيراً ما ثار العرب ضد هذه الحكومة بسبب الخراج بعد أن زاد عددهم وشاركوا الأقباط في ثوراتهم ولعل أصدق دليل علي هذه المشاركة تلك الثورة التي حدثت في جمادي الآخرة سنة ٢١٦ هـ ، حيث ثار أهل الوجه البحري كلهم عرب وقبط ، فطردوا عمال الحكومة وقدم الأفشين قائد الخليفة المأمون من برقة لمحاربتهم ، فسار إلي الحوف وهزمهم في مختلف جهات الوجه البحري ودخل الإسكندرية في ذي الحجة سنة ٢١٦هـ ، وهي نفس الواقعة التي انتقل بعدها الأفشين إلي البشرود ، فقاوموه حتي قدوم الخليفة المأمون إلي مصر[٦٢].

ومما يدعو إلي الاعتبار أن الحكومة العربية في مصر – آنذاك– كانت خلال القرن الثانى الهجرى تحمي مناخاً صحياً يسوده الاستقرار، وانفرد القبط خلاله بعمل الصنائع والحرف والفنون، وتؤكد النتائج التي توصل إليها علماء الآثار في هذه الميادين

---

[٦١] المقريزي : الخطط : ج١ ، ص ٩٨ .

[٦٢] انظر:سيدة الكاشف، مصر في فجر الإسلام، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٩، ص٢٣٧.

المنارة للاستشارات
www.mar

أن التأثيرات القبطية كانت هي الغالبة علي هذه الفروع في القرون الثلاثة الهجرية الأولي بعد الهجرة[٦٣].

وصفوة القول فإن أهم النتائج التي توصلنا إليها تشير إلي أن مظاهر المواطنة في مصر أخذت تنمو نحو الظهور بتأثير توطين القبائل العربية في أرياف مصر إلي جانب الحاضرة، وساعد علي ذلك ما كان يجري من صلات بين العرب والقبط بأرياف مصر دون أن يحول ذلك من انشغال كليهما، بأحواله المعيشية والاقتصادية والقيام بدوره في عمارة الأرض، فانصرف العرب إلي جانب انشغالهم بتبادل المنافع مع القبط إلي شعائرهم وأحداثهم السياسية، بينما تابع القبط دورهم في بناء مصر.

خامساً: التوطين والمواطنة في مصر خلال القرن الهجري الثالث :

كان من وراء عدم انعزال مصر عن دار الخلافة أن تتأثر بأحداثها بوصفها ولاية عربية تابعة لها، الأمر الذي يفسر التطور الهائل الذي جري علي عمليات توطين العناصر العربية في الديار المصرية بما ينطوي علي التوسع والانسياج في كافة ربوع مصر، ذلك أن الخليفة العباسي المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ) حرم العرب من العطاء وفرض عليهم الخراج[٦٤]، بعد أن استعان بالأتراك بدلاً من العرب في تصريف شئون المناصب الإدارية والمالية والعسكرية، ولم يعد أمام العرب إزاء ذلك كله سوي السعي من أجل الارتزاق بحثاً عن المال الذي غاب بعد قطع العطاء، وأفقدهم مزاياهم في الحكم والحياة السياسية، أمام التطور الذي أحدثته الخلافة العباسية بقرار المعتصم، وسرعان ما أدركت الخلافة ضرورة التعامل مع عرب مصر بما يمكنهم من استطابة حياة مدنية لا تتقيد في تمركزها بجهات بعينها، بل عليها أن تختار وفق ما تريد من جهات تراها مناسبة لحياة عربية جيدة تتيح لها الحصول علي حياة أفضل وتوفر لها المال اللازم لتغطية مطالبها ونفقاتها .

---

[٦٣] زكي محمد حسن:اطلس الفنون الزخرفية شكل٤٣٦-٤٦٨-٥٦١متحف الفن الإسلامي سجل رقم ١١ – ١٦خزف و ٤٦٣٠ خشب و ١٠٨٤٦ نسيج

[٦٤] المقريزي: الخطط ، ج١ ، ص ٣١١ .

المنارة للاستشارات
www.mar

لم يجد العرب في مصر أدني صعوبة في جني ثمار ما نتج عن اختلاطهم التدريجي بالقبط خلال القرنين الأول والثاني الهجريين ، إذ بات من اليسير علي الوافدين العرب خلال القرن الثالث الهجري أن ينضموا إلي أقرانهم الذين سبقوهم توطيناً في مصر بما يتوافق مع تقاليدهم القبلية في الاستقرار دون أن يحول من انتشارهم مانع في كافة البلاد المصرية جرياً وراء حياة معيشية بعيداً عن شدائد الأيام.

واضطر العرب بتأثير ما منوا به من وراء قرار دار الخلافة سنة ٢١٨ هـ إلي النزوح نحو شعاب القبط بعد أن وجدوا في ذلك مخرجاً يسمح باختلاطهم بالمصريين ومشاركة أعمالهم [٦٥]، مما كان مدعاة إلي تطور كبير في ظهور أبعاد ومقومات تعلي من شأن المواطنة في مصر.

سرعان ما انفرج الأمر أمام العرب والقبط بظهور ثلاثة عوامل رئيسة ساعدت كليهما علي استطابة مدنية جديدة تساهم في ترقية فكر المواطنة نحو غرس مشاعر الانتماء عند المصريين عرب وقبط، أولاهما أن القبط رحبوا بقدوم العرب في نواحيهم بعد أن شعروا بأنهم ليسوا غرباء عن الأرض[٦٦] وثانيهما؛ أن العرب بفعل قرار الخليفة العباسي صاروا مثل القبط لا تمييز لهم عليهم بعد أن أصبحوا مثلهم يؤدون الخراج بعد افتقادهم للعطاء، وثالثهما أن الاستعانة بالأتراك من قبل سياسة الدولة الإسلامية دفعت كل عنصر من العنصرين أن يواجه السلطة الحاكمة المتمثلة في العنصر التركي الطارئ علي حكم الولاية بعد احتلاله لها بديلاً عن العرب، وهكذا أسهم ذلك كله في ظهور أحلاف عربية في مصر لضرب العنصر التركي الذي حرمهم من مكانتهم في مصر في وقت خرج فيه الأقباط في وجه نفس السلطة إزاء تعسفها في جباية الأموال[٦٧].

ومن جانبنا لا نقلل من آثار نزوح العناصر العربية إلي أرياف مصر فيما طرأ علي قبط مصر من دوافع الغيرة ، ونتفهم تماماً ما سجله مؤرخو البطاركة من منازعات

---

[65] Macmechael : A History of Arabs in the Sudan, Cambridge Vol. I , 1922 , P. 160 .

[٦٦] المقريزي : نفسه ،ج١ ، ص ٣١١ .

[٦٧] راجع عبدالمجيد عابدين: دراسات في تاريخ العروبة، حول تناوله لفكرة التماثل في الهدف بين مساعي القبط والعرب إزاء الطغيان التركي.

المنارة للاستشارات
www.mar

جرت إزاء ذلك بين العرب والقبط في القرن الثالث الهجري[٦٨]، علي أن هذه المنازعات لا تخلو من نتائج، ذلك أنها لم تتعارض وكون مصر باتت أرضاً يسكنها العرب والقبط، بوصفها أرضاً مصرية تجمع كليهما منذ ذلك الوقت نحو هدف واحد يتجه إلي معارضة العناصر التركية، كما أنه من شأن هذا الأمر أن يجعل الاحتكاك بين العنصرين علي الدوام مستمراً ليسفر بطبيعة الحال عن تطور جديد ينتهي بتحول أعداد لا بأس بها من القبط إلي الإسلام طواعية واختيارا وقت حدوث ظاهرة الانتماء الحقيقي لمصر من جانبهما ودونما استعداء أحدهما للآخر .

ومما لاشك فيه أن الانتماء لمصر من قبل العرب والقبط كان في القرن الثالث الهجري علي أشده مما نتج عنه عدة مظاهر تعكس لأول مرة في مصر الاسلامية أبعادا جديدة للمواطنة، من ذلك أن أفراد القبائل العربية أخذت تعمل في الزراعة والتجارة، وشاركت القبط أعمالهم واحتفالاتهم[٦٩]، ومن ذلك أن العناصر العربية تخلت عن أنسابها، وانتسبوا في تطور لاحق إلي البلاد والقري المصرية[٧٠]، ومن ذلك أن العنصرين أخذا يندمجان حضارياً باختلاط كافٍ يسمح بظهور عنصر جديد من المولدين يمثل بداية ظهور شعب مصر الإسلامية ، ويمثله منذ ذلك الحين القبط والعرب باعتبارهما عنصرين مصريين لا ثالث لهما خلال فترة البحث.

وتبرهن الوثائق البردية التي ترجع إلي القرون الهجرية الأولي علي نتائج ذلك التطور الحضاري بترسيخ فكر المواطنة في نفوس المصريين من العرب والقبط، وكان من أبرز مظاهره مشاركة العنصرين في عمارة الأرض المصرية، وإحياء أعيادها، واحتفالاتها ومناسباتها، وتمكين العرب من حيازة الأرض، والتمتع بالثراء في ظل مشاركة قبطية علي أرضهم ومزارعهم [٧١]، فضلاً عن مشاركتهم أعمال القبط التجارية، بل وقيامهم بأعمالهم الخاصة في هذا المجال، وفوق ذلك كله تلك الثقة التي تمتع بها الطرفان بينهم وبين

---

[٦٨] راجع ساويرس بن المقفع نفسه ، القسم الأول ، ج١ ، ص ٣٢ .

[٦٩] أبوصالح الأرمني ، نفسه ، Fol , 129

[٧٠] الكندي: الولاة ، ص ١٠٧ .

[٧١] جروهمان:أوراق البردي العربية، ج١، ص٥١ و ٥٦ ، ج٤، ص ٢١٩، ٢٢٠، انظر وثيقة رقم ٣٢٣.

المنارة للاستشارات
www.mar

أنفسهم إلي حد جعل المجال مفتوحاً أمام القبائل العربية لشراء عقارات كان يملكها القبط[٧٢]، وقد يستدين العربي من القبطي، أو العكس بموجب عقد مبرم بين الطرفين[٧٣].

ومن أهم مظاهر المواطنة أن التنافس بين أفراد القبائل بات علامة مميزة للاستقرار العربي في الأراضي المصرية ، وسرعان ما كان العربي يعتمد علي نفسه بهذا التحول إثباتاً لذاته ينافس أقرانه ويزيد من نشاطه خلال القرن الثالث الهجري حتي بلغ به الأمر أن امتلك المزارع والضياع بعد أن كان مجرد وافد مقيم في مصر منح عطاء مقابل الجهاد لا يميزه شيئ عن كل فرد من أقرانه ومساوياً له أمام حكومة الولاية.

ولا يفوتنا في هذا المضمار أن نؤكد علي آثار الاندماج الحضاري بين العرب والقبط بما ساهم في استجلاء روح المواطنة في أعلي مظاهرها، لأن النهاية إزاء ذلك كله كانت تعبر عن مجتمع جديد ينطوي علي استطابة مدنية لمواطنيه بتأثير عمليات المزج بينهما بشكل واسع خلال القرن الثالث الهجري، ولعل أكبر دليل علي أهمية هذا المزج أن العرب في اختلاطهم بالمصريين الأقباط قد ذهبوا إلي أبعد مدي بحيث صار من المبسور أن يقبل المصري المسلم علي المصري المسيحي ليتعلم منه أعمال الحرف والصناعات والفنون المصرية مما كان سبباً في أن تكتسب مثل هذه الأعمال الشخصية الإسلامية، وتزداد – بطبيعة الحال – في تنمية هذا الطابع في وقت لاحق خلال القرن الرابع الهجري، وهو القرن الذي أصبحت فيه العربية لغة الكتابة عند مؤرخي الكيسة والتاريخ الكنسي[٧٤].

وعلي جانب آخر فإن روح المواطنة [٧٥] تتضح في أن كل عنصر كان ينصرف إلي مباشرة شعائره بحرية تامة، فالمصريون المسلمون أكثروا من الزوايا والمساجد في مراكزهم الثابتة بالريف والحضر، وأقبل الأقباط علي تأدية شعائرهم الدينية وكتابة تاريخهم الكنسي وفقاً لهذا التحول الذي مكن اللغة العربية من أن تسود بين قبط مصر طواعية واختياراً في ظل سياسة التسامح التي أتبعها حكام مصر المسلمين.

---

[٧٢] جروهمان: أوراق البردي العربية ، ج١ ، ص ١٤٥ .

[٧٣] جروهمان: نفسه، ج٢ ، ص ٢٤٤ .

[٧٤] راجع ساويرس بن المقفع: نفسه ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، انظر المقدمة .

[٧٥] زكي محمد حسن: بعض التأثيرات القبطية في الفنون الإسلامية(Bulltin de l'assaciation des amais d'art copt,tom 111 , le caira ,1937) ، ص ١٤ و ٢١ .

المنارة للاستشارات
www.mar

وقصاري القول فإن التحول الذي طرأ علي مصر في القرن الثالث الهجري زمن الخليفة المعتصم باعتبارها ولاية عربية لم تنعزل عن دار الخلافة العباسية كان الأساس في انطلاق العرب نحو الانتشار في الأراضي المصرية وامتزاجهم بالأقباط الذين رحبوا بقدومهم مما أحدث منعطفاً جديداً اندمجت فيه المؤثرات العربية بالقبطية ، وخضع العرب والقبط لتشريعات حكومية في مصر بما ينطوي علي روح المساواة والتآلف في بدايات قوية مؤثرة تعلي من شأن المواطنة في مصر الإسلامية، ومنذ ذلك الحين باتت الحياة بين قاطني مصر جملة عربي كان أو قبطي ينعم بالتسامح الذي صار من أهم حقوق المواطنة المصرية، وتجلي ذلك كله في كافة عصور مصر اللاحقة، علي أن ما يثار عند بعض الكتاب في العصور الوسطي أو المحدثين في شأن مضايقات قبطية من الحكومات الإسلامية في مصر لم تكن في معظمها إلا لأسباب مالية لم يلتزم بها الأقباط إزاء ما كان يلقونه من حماية وحريات ، وليس كما يدعي البعض لدوافع عنصرية أو اضطهادات دينية[٧٦].

[٧٦] سعاد ماهر: محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية، راجع إشاراتها عن المساجد والزوايا في قري مصر.

المنارة للاستشارات
www.mar

ثبت المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : المصادر العربية .

-**البلاذري (ت ٢٧٨هـ)** . أبوالحسن أحمد بن يحيى: فتوح البلدان ، نشر صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٥٦ م ، وبيروت، ١٩٨٣م .

-**الطبرى (ت ٣١٠هـ)** . تاريخ الأمم والملوك، الجزء الرابع، تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٧م.

-**حنا النقيوسي (ت أواخر القرن الأول الهجري / السابع الميلادي)** . تاريخ
Chronique de jean Eveque de Nikiou . Text Ethiopien Publie et traduit par M.H. Zotenberg (Notices et extraits des Manuscripts de la Bebliotheque National et autres Bebliotheques, Paris 1883.

-**ساويرس بن المقفع:** سير الآباء البطاركة (ت: أواخر ق٤ هـ) ، المجلد الأول ، جزءان ١ ، ٢ ، نشر فريد سيبولد ، القاهرة ، مطبوعات جمعية الآثار القبطية ، ١٩٤٣م .

-**الشوكاني:** الفتح القدير، الجزء الثالث، ط أولي دار ابن كثير، دار الكلم الطيب ، دمشق ، بيروت، ١٤١٤هـ.

-**أبوصالح الأرمني (عاصر الخليفة المستنصر بالله الفاطمي):** تاريخ ؛ المعروف باسم كنائس وأديرة مصر ، نشر ايفتس أوكسفورد ، ١٨٩٣م.

-**ابن عبدالحكم (ت ٢٩٧ هـ / ٨٧١ م)** : فتوح مصر وأخبارها ، ليدن، ١٩٢٠م ، ونسخة أخري تحقيق : عبدالمنعم عامر ، القاهرة ، ١٩١١م.

-**الفارابي. (ت ٣٩٨) أبونصر إسماعيل بن حماد الجوهري:** تاج اللغة وصحاح العربية المسمي الصحاح ؛ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط أولي ١٩٩٩م.

-**الفيروزأبادي.مجد الدين محمد بن يعقوب:**معجم القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، (د.ت) .

-**الكندي (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م)** : الولاه والقضاة ، بيروت ، ط الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٨م .

-**الماوردي.(ت٤٥٠هـ)أبوالحسن علي بن محمد:** الأحكام السلطانية والولايات الدينية، القاهرة، ١٢٩٧هـ.

-**المقريزي. تقي الدين أحمد (ت٨٤٥هـ /١٤٤١م):** المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، جزءان، بولاق ، ١٢٧٠ .

-**ابن منظور** : لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، (د.ت) .

-**ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢١٨م)** . مادة أبويط ، ط السعادة ، القاهرة ، ١٩٠٦م.

ثالثاً: المراجع العربية :

-**أحمد مختار عمر:**معجم اللغة العربية المعاصرة، ط أولي، دار عالم الكتب، القاهرة،١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

المنارة للاستشارات
www.mar

-**جروهمان** : أوراق البردي العربية ، دراساته للوثيقة رقم ١٤٨ مؤرخة سنة ٩١هـ ، الجزء ٣ ، ووثائق ٦ و ١٨ و ٢١ و ٦١ ، وترجع إلي القرن الهجري الأول ، الجزء الأول ، دار الكتب المصرية ، ١٩٣٠م .

- **دوزي (رينهارت)** : تكملة المعاجم العربية ، نقله إلي العربية وعلق عليه جمال الخياط ، الجزء الحادي عشر ، وزارة الثقافة ، بغداد، ٢٠٠١م.

-**زكي محمد حسن** : بعض التأثيرات القبطية في الفنون الإسلامية (مجلة Bulltin de L' association des amais de L'art Copte, Tome III , Le caire , 1937 .

-**سيده الكاشف** : مصر في فجر الإسلام ، القاهرة ، ١٩٤٧ .

-**عبدالله خورشيد البري** : القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولي للهجرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٢م .

-**عبدالرحيم عمران** : مصر ؛ مشكلاتها السكانية وتطلعاتها ، نشر مؤسسة فرانكلين ، القاهرة ، ١٩٧٧م.

-**محمد رمزي** : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ، القسم الأول ، الجزء الثالث ، دار الكتب المصرية ، ١٩٥٣- ١٩٥٤م .

-**محمد جمال الدين سرور** : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، دار الفكر العربي، القاهرة ، ١٩٧٣م.

-**مسعود موسي الربضي** : أثر العولمة في المواطنة (المجلة المصرية للعلوم السياسية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد ١٩ ، بيروت ، ٢٠٠٨م).

المراجع الأجنبية :

- **Lane Poole :** A History of Egypt in the Middle Ages (London 1925) .
- **Macmechael** : A History of Arabs In the Sudan (Cambridge Vol. I, 1922) .
- **Munier (Henri)** : L' Egypt Pyzantine (Precis de L' Histoire d' Egypte , II Paris , 1933 .
- **Wiet (Gaston)** L' Egypte Arabe (Histoire de La Nation Egyptienne Tom IV Paris 1937).

رابعاً: الشبكة الدولية للمعلومات :

- حسان أيو : مفهوم المواطنة ، الحوار المتمدن ، العدد ١٤٧١ في ٢٠٠٦/٢/٢٤م .

http://www.ahewar.org/debat/show.artasp?aid=58014&r=0

المنارة للاستشارات
www.mar

Settlement and Citizenship in Islamic Egypt at the dawn of Islam

Pr. D. Mohamed Ahmed Mohamed Ahmed Bedewy •

Abstract:

The peace paper which contracted by the Arab Leader Ibn El AAS declared the civil rights, when he conquered Babelioon, these civil rights became a natural conclusion of the Arab settling which targeted Egypt Following up the Arab Policy issued by the Arab Kalif in his capital.

Citizenship started to take shape partly following up the contribution of Arab settlement. In the beginning of Islam this term developed in its dimension and Aspects, that adopted the policy of Islamic state, in the beginning of the first three centuries in Islamic Age, In the first century of Hijra citizenship shown after the settling of the Arab races in (Fostate) in solitude a way from Coptic places, in the second century citizenship witnessed Partial motion express The convergence of the Copts, they exchanged their benefits after the Arab settling , this development led to the activities between two races Copts and Arabs.

In the third century of Hijra the Arabs in Egypt adopted the Arab policy in the 218 H, the Arab Kaliph (Moatasem) depended on the Turkish making replacement instead of the Arbs , the Arabs lost their offers and their privileges, they were obliged to penetrate all villages and towns pursuing of life in which the Copts supported, Welcomed them.

This is the final development where the two races became equal, and Egypt became the place for each of them.

The new settlements of the Arabs became provincials and enjoyed civilian life away from the military life.

Citizenship was shining in the third century in Egypt with its moral Aspects which adopted the equality between Arabs and copts who were subjects to the laws of the Islamic state.

Key words:

Localization , Citizenship, Islamic Egypt.

• ***Specialized in Islamic history Asiut University*** dr.mohamed_bedewy@yahoo.com

المنارة للاستشارات

www.mar